ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr .Essa Fadel Nazzaal

Staff member in the college of Arts / University of Mosul

Email: Isa.f.n@uomosul.edu.iq

Keywords:
Iraqi Jews, communists, Palestinians cause

Article info

Article history:

Received 3.July.2022

Accepted 20.July.2022

Published 1.Aug.2022

Jewish Communists in Iraq and their Attitudes towards the Palestine Issue 1941 – 1949

A B S T R A C T

After the Iraqi authority dealt a blow to the Communist Party, which was founded in 1934, Fahd re-established it again in 1939, and proceeded to spread its principles among the Jews of Iraq, who began to join the party in 1941. The Jews did not assume leadership of the party until Fahd's arrest in 1947. Since the founding of the Communist Party in Iraq, the Palestinian cause has received special attention within its activities, and this was reflected in its Jewish members who formed the "anti-Zionist" movement at Fahd's request. After the 1947 United Nations resolution on the partition of Palestine into two states (Arab and Israeli), a contradiction emerged in the position of the Communist Party on the Palestinian issue, as its new position came as a reflection of the position of the Soviet Union.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol48.Iss3.3111

الشيوعيون اليهود في العراق، وموقفهم من القضية الفلسطينية ١٩٤١ ــ ١٩٤٩

أ.م.د. عيسى فاضل نزال

كلية الآداب/ جامعة الموصل

الملخص:

بعد أن وجّهت السلطة العراقية ضربة للحزب الشيوعي الذي تأسس سنة ١٩٣٤، أعاد فهد سنة ١٩٣٩ تأسيسه من جديد، وعمد على اجتذاب اليهود العراقيين إليه، فبدأ انضمامهم للحزب سنة ١٩٤١، ولكن لم يتولوا قيادته، حتى اعتقال فهد سنة ١٩٤٧. ومنذ تأسيس الحزب الشيوعي في العراق حظيت القضية الفلسطينية باهتمام خاص ضمن أنشطته، فانعكس ذلك على أعضائه من اليهود، الذين شكلوا جمعية لـ"مكافحة الصهيونية"، استجابة لطلب فهد. وبعد قرار الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ الخاص بتقسيم فلسطين لدولتين (عربية وإسرائيلية)، ظهر تناقض في موقف الحزب الشيوعي من القضية الفلسطينية، حيث جاء موقفه الجديد انعكاسا لموقف الاتحاد السوفييتي (سابقاً)، المؤيد لخطة تقسيم فلسطين.

الكلمات المفتاحية: يهود العراق، الشيوعيون، القضية الفلسطينية.

المقدمة:

ما أن ظهرت الصهيونية، راحت تدعو يهود العالم ومن بينهم يهود العراق، لإنشاء وطن لهم في فلسطين، فزُرعت الشك بين أبناء الوطن الواحد، وكان ذلك هو هدف الاستعمار البريطاني الذي أراد توجيه النضال العربي ضد اليهود، بينما يقوم هو باستنزاف خيرات المنطقة.

وبناء على ذلك، رأى يهود العراق وجوب المشاركة بالحياة السياسية العراقية بكل تفاصيلها، واثبات براءتهم من الصهيونية، ووجد الكثير منهم ضالتهم بالحزب الشيوعي العراقي، المعروف بتجاوزه للأسس القومية والدينية.

وجاءت هذه الدراسة والموسومة بـ " **الشيوعيون اليهود في العراق، وموقفهم من القضية الفلسطينية١٩٤١ – ١٩٤٩**"، بهدف معرفة الأسباب التي تقف وراء انضمام الكثير من يهود العراق إلى الحزب الشيوعي العراقي دون غيره، بالإضافة إلى معرفة كيفية وصولهم إلى قيادة الحزب، **و**الكشف عن حقيقة موقف الحزب الشيوعي في العراق من القضية الفلسطينية، وبخاصة موقف أعضائه من اليهود، بالإضافة إلى الكشف عن أسباب تغلغل الصهيونية داخل الحزب، وكيفية التحكم بقراره ومواقفه، لصالحها.

قُسمت الدراسة إلى مقدمة وعدة مواضيع واستنتاجات، ولقد تناولت "**المقدمة**" كشفاً عن أهمية الدراسة وتعريفاً بموضوعاتها، أما الموضوع الأول فكان "**تمهيداً**" للدراسة، ومن خلاله تحدث الباحث عن بدايات ظهور الحزب الشيوعي في العراق، وموقفه العام من القضية الفلسطينية، أما الموضوع الثاني فتناول "**تسلل يهود العراق إلى الحزب الشيوعي**"، ومما جاء فيه توضيح لكيفية وأسباب ذلك التسلل، الذي اشتمل أيضاً على تسلل يهود صهاينة لتسخير الحزب لصالح الصهيونية وأهدافها، فيما تطرق الموضوع الثالث والمعنون بـ "**تأسيس جمعية لمكافحة الصهيونية**"، وفيه تحدث الباحث عن تأسيس عصبة مكافحة الصهيونية، وكيفية اجازتها من قبل الحكومة، ثم تحدث الموضوع الرابع – والموسوم بـ "**منهاج عصبة مكافحة الصهيونية وأنشطتها**" – عن المنهاج الذي سارت عليه عصبة مكافحة الصهيونية في كفاحها ضد الصهيونية ونشاطاتها من مظاهرات واصدار بيانات وما إلى ذلك من وسائل دعم للقضية الفلسطينية، كما تطرق الباحث في الموضوع ذاته عن كيفية حلّ العصبة واعتقال قادتها، فيما تمت عنْوَنة الموضوع الرابع بـ " **اليهود الشيوعيون وموقفهم من القضية الفلسطينية (١٩٤٦ – ١٩٤٩)**"، وفيه تتبع الباحث أوضاع الحزب الشيوعي بعد حل عصبة مكافحة الصهيونية، وأنشطة أعضائه، ولا سيما من اليهود، وما تعرضوا له من اعتقالات، فضلا عن تتبع موقفهم من القضية الفلسطينية، وفي نهاية الدراسة وضع الباحث مجموعة من "**الاستنتاجات**"، التي اشتملت أهم ما توصل إليه الباحث، ويلي تلك الاستنتاجات قائمة بأسماء "**المصادر والمراجع**"، التي اعتمدت عليها الدراسة في كتابة موضوعاتها.

التمهيد:

نشأت الحركة الشيوعية المنظمة في العراق نشأة متأخرة، قياساً بالحركات الشيوعية العربية الأخرى، حيث بدأت الأفكار الماركسية تتسلل إلى الى العراق بداية العشرينيات من القرن الماضي (فرح، ١٩٧٦، ص ٣)، ولقد ظهرت أول حلقة ماركسية عراقية في بغداد سنة ١٩٢٢ (ياسين، ١٩٧٢، ص١٥٨). ومن جهته، تمكن يوسف سلمان يوسف الملقب بـ"فهد" (المولود في بغداد، سنة ١٩٠١) من تشكيل أول حلقة حزبية شيوعية في البصرة سنة ١٩٢٧، وعندما انتقل لأسباب معيشية إلى الناصرية سنة ١٩٣٢، استطاع بالتعاون مع شخص يُدعى عبد الجبار الحسون من تأسيس خلية شيوعية أخرى، وفي الوقت ذاته ظهرت خلايا مماثلة في كل من بغدادَ وكركوك (يحيى، ١٩٩٠، ص ١٠١).

وفي ٣١ آذار/مارس ١٩٣٤، اجتمع ممثلو العديد من "الحلقات الماركسية" في بغداد، وأعلنوا عن تشكيل "لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار"، وانتخبوا عاصم فليح أميناً عاماً لها، وكان من بين أبرز أعضائها فهد. وفي تموز/يوليو

١٩٣٥ غيرت اللجنة اسمها، فأصبحت تُعرّف نفسها بـ"الحزب الشيوعي العراقي" (خليل، ١٩٨٤، ص ٤٢)، ولكن سرعان ما كشفت السلطة أمر الحزب، فوجهت إليه ضربة أواخر سنة ١٩٣٥، ونتيجة ذلك تشرذم الحزب، وغادره عدد من زعمائه، ومنهم فهد (الكيالي، د.ت، ج٢/ ص ٤٠١).

ثم أعاد فهد تأسيس الحزب الشيوعي العراقي من جديد، مكوناً لجنة مركزية جديدة له، وذلك سنة ١٩٣٩، وقد غاب عن تلك اللجنة معظم أعضاء اللجنة التي سبقتها (سيف، ١٩٨٣، ص٣٩).

ولقد عُرف عن الحزب الشيوعي معاداته للصهيونية، باعتبارها حركة استعمارية وعرقية (الكسندر، ٢٠١٧، ص١٧٩) ، وحظيت القضية الفلسطينية باهتمام خاص ضمن أنشطة الحزب، منذ تأسيسه، فقد نصت المادة (١٣ أ) من ميثاقه الوطني الذي تبلور في مؤتمره الأول المنعقد سنة ١٩٤٤، على "النضال في سبيل التقارب والتعاون السياسي بين الشعوب العربية، من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية لفلسطين.." (خليل، ١٩٨٤، ص ٦٣).

تسلل يهود العراق إلى الحزب الشيوعي:

جنح الحزب الشيوعي العراق منذ تأسيسه إلى استغلال ظاهرة التنوع العرقي، حيث عمد إلى نشر مبادئه في صفوف اليهود (البراك، ١٩٨٧، ص ٢٩)، ومن جهة أخرى، كان اليهود العراقيون بعيدين عن السياسة لسنوات عديدة، ويعزى هذا الدور السلبي إلى تقدير موقعهم في المجتمع، كأقلية ضعيفة على الرغم من تقدم أوضاعهم الاقتصادية (شبلاق، ٢٠١٥، ص ٦٩)، ولم يلعب اليهود دوراً في تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، ولم ينظموا إليه حتى سنة ١٩٤١ (الكسندر، ٢٠١٧، ص ١٧٩) ، إذ أن وقائع الحرب العالمية الثانية، وما تخللها من أحداث العنف خلال أيار/مايو سنة ١٩٤١ كانت بمثابة إنذار لليهود بضرورة تفاعلهم مع هموم المجتمع العراقي، وخصوصاً في أوساط الشبيبة المتعلمة، فبادرت أعداد من الجيل الجديد للانضمام إلى الاحزاب السياسية، ولاسيما الحزب الشيوعي العراقي (شبلاق، ٢٠١٥، ص ٧٠). ولقد لمعت أسماء يهودية فيه، منهم ساسون شلومو دلال الذي احتل مراكز هامة في تنظيمات الحزب، ولقد كان لهذا الرجل أثر في اعتناق غيره من اليهود الفكر الماركسي، أمثال حسقيل قوجمان، الذي يعترف بـ"فضل" دلال عليه (الربيعي، ٢٠١٣، ص٦٠-٦١).

رأى البعض أن توجه اليهود بالانضمام إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي بالإمكان أن يعزى بالأساس إلى انعدام الأمن المتنامي في اعقاب المكاسب الصهيونية في فلسطين وإقصائهم الماثل عن السياسة العراقية (الكسندر، ٢٠١٧، ص ١٧٩) ، وهناك مَن يرى أن ذلك الانضمام يعود أيضاً إلى شروط الانتماء التي تتجاوز الأسس القومية والدينية، والعرقية، والمذهبية، التي امتاز بها الحزب عن الاحزاب الأخرى (عبد الله، ٢٠٠٣، ص ١٣٣-١٣٥).

وعلاوة على ذلك، يمكن القول أن الأساليب التي اتبعتها الصهيونية، عبر تغذية المشاعر القومية الدينية، لم تكن ناجحة بسبب صعود تيار الحداثة لدى اليهود العراقيين، وتبني الكثيرين منهم للعلمانية، وعدم حرصهم على التقاليد اليهودية بسبب اندماجهم أو سعيهم للاندماج في مجتمعاتهم (جابر، ٢٠١٤، ص ١١).

وبناء على ذلك، تميزت اللجنة المركزية الجديدة للحزب الشيوعي الذي أعاد فهد تأسيسه، بغلبة الشيوعيين المتحدرين من الأقليات الدينية (يهود وآشوريين) ، لكن لم يتولَ أي يهودي قيادة الحزب الشيوعي العراقي، حتى اعتقال فهد سنة ١٩٤٧، فقد كانوا ممثَلين تمثيلاً غير متناسب في منظمة المرأة التابعة للحزب في بغداد، وكان ثمة يهود قلائل في مواقع النفوذ في اللجان المركزية للحزب (الكسندر، ٢٠١٧، ص ١٧٩)، حيث اختار فهد ثلاثة أشخاص سماهم بـ"اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي"، وكان من بين أولئك الاعضاء يهوديان، وهما الطبيب مئير يعقوب كوهين (المعروف

باسمه المستعار جوزيف)، ونعيم طويق المحرر السياسي في مجلة "المقصد" الأسبوعية، ولكن أدت العناصر اليهودية دوراً بارزاً في نشاط الحزب الشيوعي العراقي (عبد الله، ٢٠٠٣، ص ١٣٤).

وبصورة عامة، كان عدد اليهود في صفوف الحزب الشيوعي لا يتجاوز عدد أصابع اليدين حتى نيسان/أبريل ١٩٤٥، ومن بين أهمهم يهودا فرايم صديق، المعروف باسمه المستعار "ماجد" (الشرطة العامة، ١٩٤٩، ج٣/ ص٣٣)، وشقيقه حسقيل، وإسحق شيرازي ومئير يعقوب ونعيم سلمان، وأدور فرايم، وحاييم عامل مطبعة الحزب، ولكن تمت عملية سريعة ومكثفة لإغراق الحزب باليهود (عبد الكريم، د.ت، ص ٨١) ، وكان من بينهم صهاينة، حيث يذكر القيادي بالحزب الشيوعي مالك سيف المعروف باسم الرفيق كمال، بأن سنة ١٩٤٥ شكل انعطافاً كبيراً في مسيرة الحزب الشيوعي العراقي، كان له الأثر الكبير في تسلل اليهود الصهاينة إلى صفوفه ، وفي تعزيز مواقعه القيادية (سيف، ١٩٨٣، ص ١٧٤).

وما لبث الحزب الشيوعي حتى تعرض إلى انقسامات، حيث برزت عدة مجموعات شيوعية صغيرة، نشأت بصورة خاصة في وساط الاقليات الدينية والعرقية، ومنها (وحدة النضال)، التي كان يرأسها اليهودي يوسف هارون زلخة، وكان سبب الانشقاق هو الرغبة بتسلل العناصر الصهيونية إلى الحزب الشيوعي (موسى، ١٩٧٩، ص ٧٠)، وعلى الرغم من كثرة الانقسامات والتشرذمات بقي الحزب الشيوعي بزعامة فهد هو الأقوى، بسبب قوة شخصية أمينه العام، والمساعدات المالية العالمية التي كان يحصل عليها الحزب، ونتيجة ذلك طالبت جماعة زلخة الانضمام إلى قيادة فهد فُقبِلت (الكيالي، د.ت، ج٢/ ص ٤٠٢)، فازداد عدد اليهود في الحزب وكان منهم العامل والطالب والموظف والتاجر، وهكذا أصبح اليهود يمثلون نسبة عددية لا بأس بها في الحزب (عبد الكريم، د.ت، ص ٨١).

ولم يكتف اليهود بمد يد العون للحزب الشيوعي العراقي بالرجال، بل أمدوه بالمال، وعلى سبيل المثال استأجر يعقوب أسيحق بيوتاً لعناصر الحزب بمبلغ ٣٠٠ دينار للدار الواحد شهرياً، وذلك مبلغ ضخم، إذا أخذ بعين الاعتبار القيمة النقدية لمثله في أربعينيات القرن الماضي، ومن الأمثلة الأخرى، تسليم إبراهيم ناجي مطبعة "وحدة النضال" للحزب الشيوعي، والتي اشتراها بمبلغ ٧٠٠ دينار، ناهيك عن أعانات التجار اليهود للحزب، ومن الجدير بالذكر أن عدد من قيادي الحزب الشيوعي تزوجوا من نساء يهوديات (البراك، ١٩٨٧، ص ٢٥-٣١)، كما سخر اليهود الشيوعيون خبرتهم، ومعرفتهم ولاسيما باللغات الأجنبية لخدمة الحزب الشيوعي العراقي، ومن بينهم مئير يعقوب كوهين، الذي كان يترجم المقالات الشيوعية من الانكليزية إلى العربية (الشرطة العامة، ١٩٤٩، ج٣/ ص ١٢٢).

تأسيس جمعية لمكافحة الصهيونية:

مع نهاية الحرب، أعلن الحلفاء المنتصرون – وكرروا – بأنهم سينظمون العالم على أسس جديدة، تؤمن له السلم والرفاه، وبهذه الحالة توجّب على العراق الاستعداد لسياسة جديدة مشبعة بالروح الديمقراطية والحرية، وهذا يستلزم إيجاد منظمات أهلية سياسية واجتماعية تقوم بتنسيق الرأي العام وتنظيمه، وقد ظهر صدى تلك الدعوة في خطبة مسهبة ألقاها الوصي عبد الإله بن علي (١٩١٣ – ١٩٥٨) في ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٥ (السويدي، ٢٠١١، ص ٣٥٢).

ومن جهة أخرى، تولى توفيق السويدي رئاسة الوزراء خلال المدة في ٢٣ شباط/فبراير ١٩٤٦، وعلى الرغم من أن تلك الوزارة لم تستمر أكثر من ثلاثة أشهر، ولكن تلك الأشهر كانت غنية بالأحداث (بطاطو، ١٩٩٦، ص ١٨٩)، حيث أبدت الوزارة استعدادها – واستجابة لخطاب الوصي – لرفع القيود التي كانت مفروضة على الصحافة والحريات (السويدي، ٢٠١١، ص ٣٦١).

وتأكيداً عملياً لمّا سبق، أجازت وزارة الداخلية في ٢ نيسان/ أبريل خمسة أحزاب سياسية (وهي: الوطني الديمقراطي، والاستقلال، والاحرار، والاتحاد الوطني، والشعب) (خليل، ١٩٨٤، ص ٦٣)، ولقد اتخذت تلك الاحزاب موقفاً معادياً للحركة الصهيونية ومناصراً للقضية الفلسطينية ، وزاولت نشاطاتها بذلك الخصوص (عبد الله، ٢٠٠٣، ص ١٣١، ١٣٣).

وفي تلك الأجواء، سعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي (السري)، أواسط سنة ١٩٤٥ إلى الحصول على ترخيص سياسي علني باسم "حزب التحرر الوطني" (المسيري، ١٩٩٩، ج٦/ ص٤١١) ، وهو الحزب الاحتياطي المساعد للحزب الشيوعي، ولكن لم يحصل على رخصة رسمية، ومُنحت له فقط حرية العمل (بطاطو، ١٩٩٦، ص ١٨٩)، ففكّر القائمون على الحزب الشيوعي بإيجاد واجهة علنية بديلة، تعبر من خلالها عن تطلعاتهم، فطلب فهد من اليهود الشيوعيين تأسيس جمعية سياسية، وبناء على ذلك، تقدم مجموعة من اليهود في الحزب الشيوعي، باقتراح إلى فهد، مفاده تأليف جمعية تكافح ضد الصهيونية (شبلاق، ٢٠١٥، ص ٧٢)، ويذكر القيادي في الحزب الشيوعي العراقي (مالك سيف) أن يوسف هارون زلخة هو من اقترح على فهد تشكيل تلك الجمعية (سيف، ١٩٨٣، ص ٩٤). بينما يكتفي القيادي بالحزب الشيوعي كاظم حبيب بالقول "أن مقترح تأسيس العصبة طُرح من قبل بعض الشيوعيين من يهود ومسلمين (حبيب، ٢٠٢١، ص ٤).

أما الأعضاء الذين كلفوا بتلك المهمة من قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي؛ وحسبما ذكر يهودا صديق، فهم: يهودا صديق، ويوسف هارون زلخة، ومسرور قطان، وإبراهيم ناجي، ويعقوب فرايم، ونعيم شوع ويوسف زلوف، حيث عقدوا عدة اجتماعات، صاغوا خلالها برنامجاً سياسياً ونظاماً داخلياً لتلك الجمعية (الشرطة العامة، ١٩٤٩، ج٣/ ص٧٤)، ومباشرة تقدم أولئك اليهود الشيوعيين، بطلب إلى وزارة الداخلية للسماح لهم بإجازة جمعيتهم (عريضة الهيئة المؤسسة للعصبة، ١٩٤٥/٩/١٢، د.ص).

ولمّا لم تستجب وزارة الداخلية مباشرة على طلبهم، عمدت الهيئة المؤسسة الى الاتصال بالمسؤولين لشرح أهداف العصبة والدعوة إلى إجازتها، فقابل وفد من الهيئة الوصي يوم الأربعاء الموافق ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٥، فنالوا منه التشجيع (حميدي، ١٩٧٥، ص ٣٩٨). ولكن مع ذلك استمرت مماطلة الجهات الرسمية في إجابة الطلب، على اعتبار أن مقدمي الطلب ليس لديهم مكانة معلومة في المجتمع ولا تتوفر فيهم الكفاءة التي تؤهلهم لإدارة شؤون جمعية مهمة كهذه، ولا سيما وأن الكثير منهم معروفين بالنزعة الشيوعية القوية (عبد الكريم، د.ت، ص ٨٢).

ثم حدث أن طلبت السفارة العراقية في لندن من وزارة الخارجية إيجاد جمعية يهودية في العراق تعمل على مكافحة الصهيونية، وأطماعها في فلسطين، وتعرّف لجنة التحقيق الأنكلو – أمريكية بموقف يهود العراق السلبي تجاه الأطماع الصهيونية، فأسرعت وزارة الداخلية بالموافقة على طلب تأسيس العصبة (حميدي، ١٩٧٥، ص ٤٠٠)، فأجيزت العصبة من قبل السلطة في ١٦ آذار/مارس ١٩٤٦ (السوداني، ١٩٨٠، ص ١٦١) ، فيما يرى القيادي في الحزب الشيوعي (كاظم حبيب) بأن نشاط العصبة وحصول تأييد سياسي واسع لها، وبروز أشكال مماثلة في بلدان أخرى، هو ما جعل وزارة الداخلية مضطرة على إجازتها (حبيب، ٢٠٢١، ص٥).

وهكذا منح الاعتراف الكامل بالجبهة الشيوعية "عصبة مكافحة الصهيونية"، مما قلل من معارضة فهد للحكومة (بطاطو، ١٩٩٦، ص ١٨٩) ، فتألفت هيئتها الادارية برئاسة المحامي يوسف هارون زلخة (الربيعي، ٢٠١٣، ص ٦٠). وهيئة رقابية برئاسة يهودا صديق، وتنحصر مهمة الهيئة الثانية في مراقبة مقررات الهيئة الإدارية ومتابعة تنفيذها (ياسين، ١٩٧٢، ص ١٦٠). كما منحت الحكومة امتياز اصدار صحيفة سياسية باسم "العصبة"، ومديرها المسؤول محمد حسنين أبو العيس (عبد الكريم، د.ت، ص ٨٢).

منهاج عصبة مكافحة الصهيونية وأنشطتها:

جاء في منهاج عصبة مكافحة الصهيونية ما ذكروه مؤسسوها، حيث قالوا "أن أهداف العصبة هي مكافحة الصهيونية، وفضح أعمالها ونواياها بين جماهير الشعب العراقي، ولاسيما اليهود، وإن العصبة تستهدف القضاء على الصهيونية ودعاياتها من خلال إصدار صحيفة ونشرات وكراريس، وإقامة اجتماعات وحفلات خطابية وإلقاء محاضرات وعرض رقوق سينمائية، والتعاون مع المؤسسات المتفقة معها بالهدف في العراق والأقطار العربية الشقيقة، والاشتراك في المؤتمرات العالمية المعادية للصهيونية (السوداني، ١٩٨٠، ص ١٦١– ١٦٢).

ولما كانت الصهيونية تستغل شعور المظلوم لدى جماهير اليهود، رأت العصبة أنه لا بد من مكافحة الأسباب التي تؤدي إلى قيام ذلك الشعور، وأكدت أنها ستسعى – وبالتعاون مع الوطنيين الآخرين – لمعالجة مشاكل اليهود الاجتماعية التي تخلق التذمر والاستياء وتفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً، وفضح أولئك الذين يريدون استغلالها لبث الدعاية الصهيونية، كمشكلة البطالة بين شباب اليهود (عريضة الهيئة المؤسسة للعصبة، ١٩٤٥/٩/١٢، د.ص).

وأكدت العصبة – وباستمرار – أن ليس لليهود قضية منفصلة عن شعوبهم، فالصهيونية عميلة للإمبريالية، وأداة لها، ورأت فيها وفي الفاشية بأنهما توأمين لبغي واحدة، هي العنصرية (جابر، ٢٠١٤، ص ١١). وذلك ما أكدته من خلال كراس أصدرته وفي السنة التي أسست فيها، والذي كان تحت عنوان "نحن نكافح في سبيل مَن ؟ وضد مَن؟" (عبد الله، ١٩٧٤، ص ١٦٢ – ١٦٣)، وتجدر الإشارة أن ذلك الكراس كان عبارة عن مجموعة من المقالات، سبق ونشرتها العصبة عبر صحيفتها (المسيري، ١٩٩٩، ج٦/ ص ٤١١).

وأعلنت العصبة أنها ستطالب بالديمقراطية، وترى أن انعدام الديمقراطية من شأنه توفير أرض خصبة للصهيونية، ولقد بينت أهمية مشاركة الجماهير العربية والهيئات الشعبية الديمقراطية في النضال ضد الاستعمار البريطاني المسؤول عن إقامة المشروع الصهيوني في فلسطين (شبلاق، ٢٠١٥، ص ٧٣).

وأوضحت العصبة أنها لا يمكن إلا أن تقف بجانب عرب فلسطين، ودعا القائمون عليها إلى حل القضية الفلسطينية على أساس منع الهجرة اليهودية، وإيقاف انتقال الأراضي العربية إلى أيدي الصهاينة، وتأليف دولة ديمقراطية عربية مستقلة استقلالاً تاماً، تضمن حقوق المواطنين كافة، عرباً ويهوداً" (حميدي، ١٩٧٥، ص ٣٩٨).

ومهما يكن من أمر، عقدت العصبة اجتماعات ومؤتمرات جماهيرية حاشدة في مقرها بالكرخ، أحد أحياء العاصمة العرقية (بغداد)، وأصدرت جريدتها "العصبة"، عن دار الحكمة للطباعة المملوكة للعصبة نفسها (المسيري، ١٩٩٩، ج٦/ ص ٤١١)، وباتت الجريدة تنشر سلسلة من المقالات حول فضح الصهيونية وارتباطها بالاستعمار العالمي (جابر، ٢٠١٤، ص ١١). ولقد صدر العدد الأول منها يوم ٧ نيسان/أبريل ١٩٤٦ (السوداني، ١٩٨٠، ص ١٦١)، ثم نشطت في الاصدار، إذ كانت تصدر ستة آلاف نسخة يومياً، من أجل أن تثبت أن جاذبيتها أوسع من جاذبية أي جريدة منظمة سياسية يهودية أخرى في ذلك الوقت (الكسندر، ٢٠١٧، ص ١٨٠).

ويشير يعقوب مصري " كان الرفيق فهد يوجه نشاطاتها – أي نشاطات العصبة – وأحياناً يكتب في صحيفتها" (حبيب، د.ت، ص ٥). وهكذا، اعتبر فهد العصبة تحقيقاً لمطالبته في علنية النشاط السياسي، ومكسباً للعمل الحزبي، واتخذها منبراً له، ينشر من خلاله أفكاره الشيوعية (عبد الكريم، د.ت، ص ٨٣).

ولقد اتسع نشاط وتأثير العصبة خلال عمرها القصير، حتى شمل أغنياء اليهود البغداديين الذين لم يكن إعجابهم بالشيوعية كبيراً، لكن بعضهم رأى أن مكافحة الصهيونية خطوة في الاتجاه الصحيح جديرة بالتشجيع، وربما كان الأكثر أهمية هنا ما رآه المبعوثون الصهاينة في الشيوعية بصورة عامة وفي العصبة بصورة خاصة إذ اعتبروها حجر عثرة ضد

نشاطهم، وفي ذلك الصدد يشير أحد المؤرخين الصهاينة إلى أن اجتماعات الحركة الصهيونية سنة ١٩٤٦ ولم يكن يحضرها سوى عدد قليل من الناس بينما تجاوزت أعدادهم أضعاف ذلك العدد بكثير في اجتماعات العصبة (شبلاق، ٢٠١٥، ٧٢،٧٣).

وبناء على ذلك، لم يجد الصهاينة بُدّاً من الاندساس في صفوفها استجابا لنداءات مسؤولي التنظيم الصهيوني وتنفيذاً لتعليمات المنظمات الصهيونية، في فلسطين (عبدالله، ٢٠٠٣، ص ١٣٥)، فعلموا على إغراق الحزب الشيوعي باليهود من اتباعهم وأعوانهم، كوسيلة لانتزاع روح الشك والتطير من ألاعيب الصهاينة (عبد الكريم، د.ت، ص ٨٣)، وشيئاً فشيئاً أصبح الحزب الشيوعي يبرر وجود الكيان الصهيوني، ليؤكد بذلك الشكوك التي أثيرت حول وجود علاقة بين الشيوعية والصهيونية (عبد الله، ٢٠٠٣، ص ١٣٨)، كما سنرى.

وحينما جاءت الذكرى الثامنة والعشرين لصدور وعد بلفور، تقدم مؤسسو العصبة بطلب إلى وزارة الداخلية في يوم ٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٥يتضمن السماح لهم بالاحتجاج عليه، وإظهار شعور الشعب العراقي تجاه محاولات الاستعمار الصهيوني القضاء على عروبة فلسطين، فرفضت الحكومة السماح لهم، بعد أن تبين لها بأنهم ينوون القيام بمظاهرة بالاشتراك مع بعض رؤساء العمال ونقاباتهم والشيوعيين، قد تؤدي إلى تعكير صفو الأمن والاعتداء على اليهود ومحلاتهم التجارية (حميدي، ١٩٧٥، ص ٣٩٨-٣٩٩).

وأصدرت الهيئة المؤسسة للعصبة في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٥ بياناً استنكارياً بمناسبة "يوم وعد بلفور" (ياسين، ١٩٧٢، ص ١٦١)، بينت فيه أن القصد من اصدار وعد بلفور هو تحويل وجهة نضال العرب الموجه ضد الاستعمار نحو جماهير اليهود، وبذلك تخلق منهم حاجزاً، يختفي وراءه الاستعمار، فيحافظ على امتيازاته، ويستمر في استغلاله، والتطفل على دماء الشعوب العربية (شبلاق، ٢٠١٥، ص ٧٣)، ونادت العصبة رؤساء الدول العربية إثارة قضية فلسطين، في مجلس الأمن، وإلغاء انتدابها (عبد الله، ١٩٧٤، ص١٦٢-١٦٣).

وبعد أن خرجت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الثانية كدولة عظمى في المجالين الاقتصادي والعسكري، احتلت مكانة سياسية ذات شأن كبير دولياً، فأشركتها بريطانيا في قضية فلسطين، فكونت معها لجنة مشتركة لتقصي الحقائق وجمع المعلومات وجابت دول الشرق الأوسط، وهي لجنة التحقيق الأنجلو – أمريكية (خليل، ١٩٨٤، ص ١٩٤).

وعلى الرغم من أن موافقة الحكومة العراقية كانت مقرونة بتوضيح موقف اليهود المعادي للصهيونية من لجنة التحقيق الأنجلو – أمريكية – كما أسلفنا –لكن العصبة أصدرت بياناً بمقاطعة اللجنة، والدعوة مجدداً إلى عرض القضية الفلسطينية إلى مجلس الأمن (عبد الكريم، د.ت، ص ٨٣)، ولم تلتقِ بها حينما زارت العراق في ١٦ آذار/ مارس ١٩٤٦، معتبرتها "غير مفيدة" و"مضللة للعرب" (شبلاق، ٢٠١٥، ص ٧٣).

وفي الوقت ذاته بادرت العصبة إلى إرسال مذكرتين أولاهما إلى رؤساء الحكومة العربية، وثانيهما إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية؛ نددت فيهما باللجنة الأنجلو – أمريكية، بعد أن اعتبرتها "ستاراً مهلهلاً يختفي وراءه الاستعماران البريطاني والأمريكي، بقصد القيام بهجوم جديد لدعم الصهيونية وتثبيت أقدام الاستعمار في فلسطين وباقي البلاد العربي" (المسيري، ١٩٩٩، ج٦/ ص ٤١٢).

وأوضحت العصبة "أن تلك اللجنة تمتاز عما سبقها من اللجان في كونها قد أضافت إلى الاستعمار البريطاني، الاستعمار الأمريكي، الذي دخل إلى ميدان التنافس الاستعماري، بصورة فعالة..." (حميدي، ١٩٧٥، ص ٤٠٥).

في أيار/مايو ١٩٤٦ أعلنت لجنة التحقيق تقريرها وجاء فيه الأذن بفتح باب الهجرة اليهودية، ورفع القيود على بيع أملاك العرب لليهود، فأعلنت جميع الأحزاب العراقية رفضها (خليل، ١٩٨٤، ص ١٩٧)، فدعت لجنة الأحزاب العراقية – والتي تألفت بعد صدور قرار لجنة التحقيق، وضمت الاحزاب العلنية الخمسة التي تم أجازتهم – إلى الإضراب يوم ١٠ أيار/مايو ١٩٤٦ احتجاجاً على قرار اللجنة، لكن العصبة اتخذت موقفاً مغايراً، من خلال الاشتراك مع حزب التحرر الوطني غير المجاز، ودعت معه إلى إقامة مظاهرة احتجاجية في اليوم المذكور، في أغلب محلات العاصمة، واستعد الاثنان لتلك المظاهرة، إلا أن الشرطة تمكنت من اعتقال النشطاء الذين كانوا يرمون القيام بتلك الحركة يوم ٩ أيار/مايو، وعلى الرغم من ذلك خرجت مظاهرة صغيرة نوعاً ما، في صباح الجمعة المصادف ١٠ أيار/مايو، إلا أن الشرطة تمكنت من إحاطتهم قرب بناية وزارة الخارجية وأرغمتهم على العودة (حميدي، ١٩٧٥، ص ٤٠٦-٤٠٧).

على الرغم من انتهاء تلك المظاهرة، لكنها خلقت فجوة بين العصبة والأحزاب الوطنية الأخرى، فكتبت جريدة "الرأي العام" لسان حال حزب الاتحاد الوطني مقالا بعنوان "أعصبة لمكافحة الصهيونية أم لمكافحة الوطنية"، وأضافت "لقد دللت على رعونة .. وقد لوحظ تنسيق بين العصبة وحزب التحرر الوطني" (السوداني، ١٩٨٠، ص ١٦٢). ولم يمض وقت طويل حتى واجهت العصبة هجوم عدد من الصحف العراقية التي اتهمتها بنشر الصهيونية، وتخريب الحركة التقدمية، والعمل على شق حدة الصف الوطني (عبد الله، ٢٠٠٣، ص ١٣٥).

لكن القائمون على العصبة والحزب الشيوعي لم يبالوا بتلك الاتهامات، فواصلوا نشاطهم، حيث أرسل أعضاء الحزب من اليهود في ٢٩ أيار/ مايو ١٩٤٦مذكرة إلى رئيس الاتحاد السوفيتي والأمين العام للحزب الشيوعي جوزيف ستالين (Joseph Stalin) (١٩٢٢ – ١٩٥٤)، جاء فيها " "إنما نلتمس منكم أيها الرفيق ستالين أن تؤيدوا القضية الفلسطينية عندما تعرض على الأمم المتحدة" (حبيب، ٢٠٢١، ص ١٠).

وفي ٣٠ أيار/مايو ١٩٤٦ استقال السويدي من منصبة، وحلت محل حكومته حكومة أرشد العمري الأولى (١ حزيران/يونيو ١٩٤٦ – ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر من العام المذكور) (الحسني، ١٩٨٨، ج٧/ ص ٩١)، وظلت المعلومات تشير إلى توثيق الصِلات بين العصبة وحزب التحرر الوطني الشيوعي غير المجاز، وأوضحت التقارير إلى أنهما كانا ينويان توحيد ملابس أعضائهما، حيث لوحظ أن الكثير منهم كانوا يرتدون نوعاً واحداً من القميص ذي اللون الأزرق. وعندما حاولوا الاستعداد للقيام بمظاهرة احتجاجية بمناسبة اجتماع مؤتمر بلودان للبحث في القضية الفلسطينية، الذي تقرر عقده في ٨ حزيران/يونيو ١٩٤٦، أمرت الحكومة بتوقيف الأعضاء البارزين في المنظمتين (حميدي، ١٩٧٥، ص ٤٠٨-٤٠٩).

وعلاوة على ما سبق، أصدرت وزارة العمري أمراً بتعطيل صحيفة العصبة في ٦ حزيران/يونيو ١٩٤٦ (عبد الكريم، د.ت، ص ٨٣) ولمدة سنة، فوجهت العصبة مذكرة إلى رئيس جمعية الصحفيين العراقيين في بغداد، أكدت فيها "أن للاستعمار والصهيونية دخلاً في حمل السلطات على إصدار قرار التعطيل، لغرض إيقاف الحملة الوطنية المثارة اليوم في فلسطين العربية.. " (المسيري، ١٩٩٩، ج٦/ ص ٤١٢). كما سارعت الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني بإرسال مذكرة احتجاج إلى رئيس وزراء العراق، ضد تعطيل الصحيفة (ياسين، ١٩٧٢، ص ١٦٤).

وفي ٢٨ حزيران/يونيو ١٩٤٦ قام حزب التحرر غير المجاز وعصبة مكافحة الصهيونية، بمظاهرة احتجاجية على المظالم الجارية في فلسطين (العكام، ١٩٨٦، ص ١٩١)، ويذكر القيادي في الحزب الشيوعي (مالك سيف) بأن تلك المظاهرة كانت نتاج شهر كامل سبقها، وضع فيه فهد كل خبرته وطاقاته لتهيئتها (سيف، ١٩٨٣، ص ١٤٧)، وقد سعى الحزب الشيوعي من خلالها إلى تكتل الناس ودفعهم إلى مظاهرة صاخبة، تنادي بإسقاط الحكومة ورئيسها العمري على وجه الخصوص (السويدي، ٢٠١١، ص ٣٨٤)، وكانت تلك المظاهرة قد انطلقت في جانب الرصافة، وسار فيها ٣٠٠٠

عامل وطالب (بطاطو، ١٩٩٦، ص ١٩٠)، وهناك من قال أن فهد شخصياً كان يقود تلك المظاهرة دون أن يلاحظه أحد (الربيعي، ٢٠١٣، ص ٦٠)، وهتف المتظاهرون ضد الظلم في فلسطين، وطالبوا بطرد الإنكليز من العراق، ونادوا بإجازة حزب التحرر الوطني (حميدي، ١٩٧٥، ص ٤١٢).

وبعد ذلك، عبر المتظاهرون من الرصافة إلى الكرخ في بغداد وعند اقترابهم من السفارة البريطانية، حاولت الشرطة أن تفرقهم بالهراوات فأخفقت، فالتجأت إلى السلاح، فقُتل خمسة من المتظاهرين، هم طالب مدرسة وعاملان وجندي وطفل، وجرج بين العشرة والعشرين، وتم اعتقال ٦٧ شخصاً من المدنيين (الحسني، ١٩٨٨، ج٧/ ص ١١٢)، وذكرت مصادر أن مِن بين مَن قتل شخص من أعضاء الحزب الشيوعي (العكام، ١٩٨٦، ص ١٩١)، وهو يهودي عراقي اسمه شاؤول طويق (سيف، ١٩٨٣، ص١٤٧)، ولقد استمرت المظاهرات التي انطلقت منذ الساعة التاسعة والربع صباحاً من يوم الجمعة، حتى الساعة العاشرة والنصف (حميدي، ١٩٧٥، ص ٤١٢-٤١٣).

لم تستسغ الأحزاب السياسية العراقية المعارضة بصورة عامة استهداف الشرطة للمتظاهرين، حيث أثار الحدث انتقاداً قاسياً من قبل القائمين عليها (بطاطو، ١٩٩٦، ص ١٩٠)، بما فيها حزب الاستقلال اليميني الذي رفع احتجاجاً شديد اللهجة إلى وزارة الداخلية (الحسني، ١٩٨٨، ج٧/ ص ١١٢_١١٣).

ثم اجتمعت الاحزاب السياسية الخمسة المجازة، ورفعوا مذكرات مشتركة إلى رئيس الوزراء أرشد العمري، بل وقابل رؤساء تلك الأحزاب الأمير زيد نائب الوصي كما قابلوا رئيس الوزراء نفسه محتجين على أعمال القمع (العلي بيك، ٢٠٠٦، ص ١٣٢) ، وقدموا بيانا مشتركا، أعلنوا من خلاله رفضهم لردة فعل الحكومة التي قامت بتعطيل الصحف التي استنكرت الحادث (الحسني، ١٩٨٨، ج٧/ ص ١١٣-١١٤).

ومهما يكن من أمر، رأت السلطات العراقية بـ"أن العصبة لم تكن بالأساس منظمة مناهضة للصهيونية، بل كانت – فعلياً – منظمة شيوعية" (الكسندر، ٢٠١٧، ص ١٨٠). فشنت ضدها حملة منظمة عبر وسائل إعلامها الرسمي، متهمة إيّاها بأنها في الواقع تخدم الصهيونية، وتسعى لتقويض صمود العراق، وقد جاءت تلك الادعاءات في المدة نفسها التي أشارت تقارير إلى أن الصهيونية هددت زعماء العصبة بالقتل إذا لم تكف نشاطها (شبلاق، ٢٠١٥، ص ٧٥). وبالتالي، دفعت نشاطات العصبة إلى أن تقوم الحكومة بتعطيل صحيفتها (العصبة) الناطقة باسمها (عبد الله، ١٩٧٤، ص ١٦٢-١٦٣)، وظلت السلطات بعد ذلك تراقب أعضاءها (السوداني، ١٩٨٠، ص ١٦٣).

ثم جاءت اللحظة الحاسمة، حينما أمرت السلطات العراقية بإغلاق مقر العصبة، في ٢٩ حزيران/يونيو ١٩٤٦ (عبد الكريم، د.ت، ص ٨٣).

ومن جهة أخرى، وجهت حكومة العمري وزارة الدفاع وضع حد لانتشار الشيوعية التي بدأت تتغلغل في صفوف الجيش، ولا سيما وحدة المخابرة والآليات ثم ابعادهم عن العاصمة (العلي بيك، ٢٠٠٦، ص ١٣١).

ومهما يكن من أمر، حُلّت العصبة، وذلك بعد ثلاثة أشهر من الترخيص، وادعت الحكومة أن سبب الاغلاق هو خروج العصبة عن أحكام قانون تأليف الجمعيات وعلى الحدود التي منحت من أجلها، وهي مكافحة الحركة الصهيونية (عبد الله، ١٩٧٤، ص ١٦٢-١٦٣).

اليهود الشيوعيون وموقفهم من القضية الفلسطينية (١٩٤٦ – ١٩٤٩):

بعد حل عصبة مكافحة الصهيونية، اعتقلت الحكومة زعماءها، فأحيلوا إلى المحاكم العسكرية، وكان من بين المعتقلين وأعضائها البارزين نعيم طويق، الذي تمكن من الهرب من قبضة السلطة، واختفى في قرية جيكور في البصرة، كما رفعت دعوى ضد سكرتير العصبة السيد يعقوب المصري، وعدد من رفاقه (الربيعي، ٢٠١٣، ص ٦٠–٦٣).

ومن جهة ثانية ظل قيد الاعتقال نحو ٧٠ من الذين شاركوا بالمظاهرة ٢٨ حزيران/يونيو السابقة، دون أن يجري التحقيق معهم، فقرروا الاضراب عن الطعام، وفي صباح ٦ تموز/يوليو ١٩٤٦ تكتلت جماعات من مؤيد العصبة وحزب التحرر الوطني في محطة باب المعظم بحجة انتظار الباصات، وانضمت إليهم بعض النسوة من قريبات الموقفين من أعضاء العصبة، ومجموعة أخرى تعاطفت معهم، حتى بلغ المجموع نحو الألف شخص، ثم أعلنوا عن تظاهرتهم مطالبين الحكومة بالنظر في حال الموقفين واطلاق سراحهم، ولكن تم تفريق تلك المظاهرة من قبل الشرطة بالقوة، دون تلبية تلك المطاليب (العلي بيك، ٢٠٠٦، ص ١٣٢–١٣٣).

ثم تم تشكيل محكمة جزاء بغداد يوم ١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٤٦، من قبل حاكمها السيد خليل أمين المفتي، وكان المتهمون هم كل من يعقوب مصري ومسرور صالح قطّان وخليل نصيف وسامي ميخائيل وعمانوئيل بطرس، فحكمت المحكمة على المتهمين يعقوب مصري ومسرور قطّان بالحبس الشديد لمدة سنة واحدة، وعلى المتهم خليل بن نصيف بالحبس الشديد لمدة ستة أشهر، وعلى المتهمين سامي ميخائيل وعمانوئيل بن بطرس بالحبس البسيط لمدة ثلاثة أشهر، على أن ينزل من ذلك مدة توقيفهم اعتباراً من ١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٤٦، كما تقرر وضع المتهمين تحت مراقبة الشرطة لمدة ستة أشهر بعد انتهاء محكوميتهم المذكورة، وتقرر أيضاً مصادرة الأوراق والمناشير وحروف الطباعة التي وجدت بحيازتهم (نص قرار المحكمة بتجريم بعض أعضاء العصبة ، ١٩٤٦/٩/١٥).

وفي ١٦ أيلول/ سبتمبر رفع يعقوب مصري ورفاقه شكوى إلى وزير العدلية موجهة ضد حاكم جزاء بغداد الأول السيد خليل أمين، يتهمونه فيها بأنه يتهم يهود العراق بالغدر، وعدم الاخلاص، وأنه بذلك ارتكب الفعل المعاقب عليه في الفقرة الثانية من المادة ٨٩ من قانون العقوبات العراقي، وهي إثارة شعور الكراهية بين سكان العراق (شكوى يعقوب مصري ورفاقه على حاكم جزاء بغداد الأول السيد خليل أمين، ١٩٤٦/٩/١٦).

وهكذا تمت ادانة أعضاء العصبة بأنهم "صهاينة"، على الرغم من أن هناك مَن يراهم بأنهم أكثر اليهود رغبة بالاندماج مع المجتمع العراقي (الكسندر، ٢٠١٧، ص ١٨٠).

وحول اعتقال عدد من أعضاء العصبة، قال اثنان من زعمائها؛ وهما: يوسف هارون زلخة (رئيس العصبة)، ومحمد حسن أبو العيس (عضو هيئتها الإدارية)" .. كتبنا احتجاجاً، منعت الحكومة العراقية زملاء المعتقلين من إرساله – برقياً – إلى أمين عام الجامعة العربية ومختلف الصحف والهيئات التقدمية في الأقطار العربية، وحصلت صحيفة "الفجر الجديد" القاهرية على نص المذكرة ونشرتها، وتحوي المذكرة احتجاجاً على تعطيل صحيفة العصبة، وعلى اعتقال قادتها، ومهاجمة مطبعة دار الحكمة واعتقال سكرتير العصبة ومحاسبها لمجرد اصدار كراس يفضح الصهيونية وسيدها الاستعمار" (ياسين، ١٩٧٢، ص ١٦٤–١٦٥).

وتجدر الإشارة، أنه عندما شكل نوري السعيد وزارته التاسعة في٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٦ أرسل أعضاء العصبة الموقفين في مركز شرطة السراي مذكرة إليه في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر، بينوا فيها بأن وزارة أرشد العمري السابقة كانت وزارة مستهينة بالحريات الديمقراطية ومستهزئة بأبسط القواعد الديمقراطية، فقامت بتعطيل جريدة العصبة وسحب إجازة الجمعية، في الوقت الذي كان فيه الصهاينة في فلسطين يهاجمون العصبة ويذيعون احكام الاعدام علي

مؤسسيها وقادتها"، وطالبت المذكرة بإلغاء قرار تعطيل الجريدة وسحب إجازة الجمعية، واطلاق سراح الموقوفين من أعضاء العصبة (حميدي، ١٩٧٥، ص ٤١٤). لكن يبدو أن تلك المذكر لم تأتِ بنتيجة تُذكر.

وفي عهد وزارة صالح جبر (٢٩ آذار/مارس ١٩٤٧ – ٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٤٨) قُدّم يوسف هارون زلخة رئيس العصبة المعطلة للمحاكمة، فحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة أربعة سنوات (السوداني، ١٠٨٠، ص ١٦٢–١٦٣)، مدعية أنه كان يترأس عصبة للكفاح من أجل الصهيونية لا ضدها، ويتعجب العلامة عبد الوهاب المسيري من ذلك، فيقول "..جاء ذلك الحكم في الوقت الذي كانت فيه الحكومة العراقية تعجل بتهجير زهاء مائة وثلاثين ألف يهودي من العراق إلى فلسطين المحتلة، مقابل عشرة دنانير عن كل مهاجر يصل إلى هناك، تدخل جيوب متنفذين في الحكومة العراقية" (المسيري، ١٩٩٩، ج٦/ ص ٤١٢).

ونظراً من أن فهد اعتاد الاختفاء في دور اليهود طلباً للأمان، فقد تم اعتقاله، وأقرب رفاقه إليه زكي بسيم (المعروف باسمه المستعار حازم)، في بيه أحد اليهود (البراك، ١٩٨٧، ص ٣١) الصيادلة، في محلة الصالحية بمنطقة الكرخ من بغداد، وذلك بعد ظهر ١٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٧، وفي يوم ٢٣ حزيران/ يونيو من العام المذكور أصدرت المحكمة الجنائية حكماً بالإعدام على فهد ورفيقيه زكي بسيم وإبراهيم ناجي شميل، وكذلك على اليهودي الذي قبض على فهد في بيته، وحكم على ١٣ شيوعياً آخرين بالأشغال الشاقة لمدد مختلفة، فارتفعت الاحتجاجات على أحكام الاعدام في البلدان العربية المجاورة وأوربا، بالشكل الذي فاجأ مسؤولي بغداد، وفي ١٣ تموز/يوليو عدّلت المحكمة أحكام الاعدام، فخفضت عقوبة فهد إلى الاشغال الشاقة المؤبدة، وعقوبة بسيم إلى الاشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة، ولم يوضع فهد وزميله تحت التعذيب، بل صار يوجه جماعته من داخل السجن، فارتفعت معنوياتهم، واستعادت الخلايا حياتها تدريجياً (بطاطو، ١٩٩٦، ص ١٩٥–٢٠١).

وفي شباط/ فبراير ١٩٤٧، قام يهودا صديق بإدارة شؤون الحزب، وهناك من شك بوجود علاقة بينه والحركة الصهيونية، ولكن لا يوجد دليل مؤكد حول ذلك (الكسندر، ٢٠١٧، ص ١٧٩–١٨٠)، لكن القيادي في الحزب الشيوعي مالك سيف، الذي يعرفه عن كثب يقول ".. يهودا لم يكن صهيونياً منظماً، ولكنه من حيث سلوكه وتعامله في الحزب ونفسيته وتربيته العائلية وبيئته اليهودية كان أقرب إلى الصهيونية من إلى الشيوعية..." (سيف، ١٩٨٣، ص ١٩٤)، ومن ضمن ما أدلى به سيف لمديرية التحقيقيات الجنائية ذكر أن يهودا كان يستمع ليلياً لإذاعة إسرائيل هو وعدد كبير من اليهود الشيوعيين، ثم يقومون بإذاعة أخبارها كدعاية لإسرائيل، كما ذكر أيضاً أن إبراهيم شاؤول كان يدعو إلى تأييد قرار تقسيم فلسطين باستمرار، وشيئاً فشيئاً لاقت دعوته الاستجابة من قبل فهد (الشرطة العامة، ١٩٤٩، ج٣/ ص ٢٠٣).

ومهما يكن من أمر أخذ يهودا صديق ينظم الحزب بيديه، لكن كتفيه لم تستطيعا حمل رداء فهد، فقد كان بلا غريزة سياسية، ولا موارد نظرية، وأكثر من ذلك فقد ندر أن يكون وجود يهودي في موقع القمة في صالح أي حزب عراقي، وبناء على تعليمات فهد من داخل السجن طلب منه تسليم المسؤولية للرفيق كمال (مالك سيف) (سيف، ١٩٨٣، ص ١٩١)، وتجدر الإشارة أن سيف بعد القاء القبض عليه، قدم مجموعة من الاعترافات من بينها أن ثمة شخص يهودي يُدعى حسقيل استلم تنظيم الحزب، منذ شهر آب/أغسطس ١٩٤٧، حيث تاريخ سفر يهودا إلى كركوك هرباً من أنظار السلطة، وحتى عودته (الشرطة العامة، ١٩٤٩، ج٣/ ص ١٧–٢٠)، ثم أصبح مالك سيف – واستجابة لتوجيه فهد من سجنه في الكوت – الرجل الأول بالحزب، يليه يهودا صديق (الشرطة العامة، ١٩٤٩، ج٣/ ص ٢٤٥).

ونظرا للمواقف الوطنية والداعمة للقضية الفلسطينية التي مارسها الحزب الشيوعي توسعت قاعدة الحزب الجماهيرية (الكيالي، د.ت، ج٢/ ص ٤٠٣)، وحاولت العصبة استغلال ذلك، فرفع يوسف هارون زلخة (رئيس العصبة المعطلة، وكان سجيناً بالكوت) مذكرة إلى رئيس الوزراء ووزيري الداخلية والعدلية، ومما جاء فيها "لقد كانت عصبتنا منذ

أول يوم تأسيسها تناضل في سبيل إقامة دولة ديمقراطية مستقلة في فلسطين من مواطنيها الحاليين، اليهود والعرب.."، واختتمت المذكرة بالمطالبة بإطلاق سراح أعضاء العصبة المسجونين والاعتراف بحق العصبة في مكافحة الاستعمار والصهيونية وإفساح المجال أمام العناصر الوطنية للاشتراك في الانتخابات النيابية، لكن الحكومة لم ترد على المذكرة (حميدي، ١٩٧٥، ص ٤١٥-٤١٦).

وتجدر الإشارة، أنه ظهر تناقض في موقف الحزب الشيوعي من القضية الفلسطينية، بين قبل وبعد قرار التقسيم، فبعد دعمه لاستقلال فلسطين دولة حرة عربية موحدة مستقلة – كما أشرنا سابقاً – انقلب موقفه رأساً على عقب (البراك، ١٩٨٧، ص ٥١)، حيث جاء موقفه الجديد انعكاسا لموقف الاتحاد السوفييتي (سابقاً)، المؤيد لخطة تقسيم فلسطين التي أقرتها الأمم المتحدة في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧(الكسندر، ٢٠١٧، ص ١٧٩) ، في ظل تراجع أمريكي غير متوقع عن قرار التقسيم، ذلك التراجع الذي وصفه المسؤولون السوفييت آنذاك بـ"خيانة اليهود"!! (الغادري، ١٩٦٩، ص ٨٦).

وعندما وصلت الجيوش العربية في ١٥ أيار/مايو ١٩٤٨ إلى فلسطين ونشبت الحرب نظر إليها فهد بأنها "لعبة أطفال"، واعتبر السكوت عنها "جريمة كبرى"، وطالب بوضع حد لها وإنهائها فوراً (خليل، ١٩٨٤، ص ٢٠٧-٢٠٨).
إن تغيير الشيوعيين لموقفهم تجاه القضية الفلسطينية دفع الجماهير بالانفضاض عنه، فأخذ يضعف، وقبض على الكثير من قاداته، ومن بينهم يهودا صديق، الذي انهار أما التحقيق، وكشف عن دور فهد في توجيه الحزب، من داخل سجنه (الكيالي، د.ت، ص ج٢/ ٤٠٣)، وتجدر الإشارة، أن الشيوعي عبد الوهاب عبد الرزاق، الذي عمل مخبر سري للشرطة العراقية هو مَن قادهم إلى وكر الحزب في محلة "الهيتاويين"، وتم إلقاء القبض على قادة الحزب (الشرطة العراقية، ١٩٤٩، ج٣/ ص ٢٣).

حيث كبس رجال الأمن الدار الذي كان يقلّهم مساء يوم ١٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٨، وتم اعتقال عدد من الشيوعيين، ومن ضمن يهودا صديق، وبعد شهر ألقي القبض على مئير يعقوب، العضو البارز عصبة مكافحة الصهيونية، ومع استمرار عمليات كبس أوكار الحزب الشيوعي المتعاقبة، تم العثور على الكثير من النشرات السرية، ومن بينها كتاب بتوقيع فهد، فيها تعليمات وأسماء المنتسبين للحزب الشيوعي كان قد وجهه من سجنه ليهودا صديق، وأخرى أيضا بقلم فهد، يوجه جماعته من خلالها إلى حث الشعب على النضال من أجل إسقاط الحكومة العراقية القائمة آنذاك (الشرطة العامة، ١٩٤٩، ج٣/ ص ١-٧).

وبناء على ما سبق، أعيدت محاكمة فهد إثناء وزارة نوري السعيد العاشرة (٦ كانون الثاني/ يناير إلى ١٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٩) (الحسني، ١٩٨٨، ج٨/ ص ٨٦-٨٧) ، إذ في عهده – وبالضبط في صبيحة ٤ شباط/فبراير ١٩٤٩ – حكم على فهد وزكي باسيم ومحمد الشبيبي (المعروف باسمه المستعار صارم) بالإعدام (ياسين، ١٩٧٢، ص ١٥٩، ١٦٥).

ثم انتقل الحزب الشيوعي سنة ١٩٤٩ إلى قادة متهورين، سميت مرحلتهم بـ"الطفولة الشيوعية"، حيث تولى قيادته ساسون شلومو دلال (ذو الـ ٢٠ عاماً)، وفي ذلك الصدد يقول الاستاذ عبد الله أمين، صاحب كتاب "الشيوعية على السفود"، "وإذا بهذا الصهيوني – الماركسي يقترف الانحراف السياسي المميت، فيقضي على البقية الباقية من الحركة الشيوعية" (أمين، ١٩٦٣، ص ٧٥)، وتجدر الإشارة أن شلومو دلال انتهى به المطاف معدوماً في سنة ١٩٤٩ (الربيعي، ٢٠١٣، ص٦٠-٦١).

الاستنتاجات:

- حاجة الكثير من اليهود إلى إقناع بقية الشعب العراق بانعدام الصلة بينهم وبين الحركة الصهيونية، دفعتهم الانضمام إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي، نظراً لشروط الانتماء إليه، والتي تتجاوز الأسس القومية والدينية، بالإضافة إلى أنه كان ينادي في البدء بدعم القضية الفلسطينية.
- وجد اليهود من الصهاينة بأن التسلل إلى الحزب الشيوعي هو خير وسيلة، لأبعاد الشبهات التي تدور حولهم، وكان غايتهم الوصول إلى المراكز القيادية فيه، وبالتالي التأثير على قرارات الحزب، لصالح الاهداف الصهيونية، لا سيما وأن الحزب قد كسب قاعدة جماهيرية كبيرة، ولا سيما بين أبناء الطائفة اليهودية.
- ثمة تناقض كبير حدث في موقف الحزب الشيوعي، تجاه القضية الفلسطينية، حيث أيد قرار تقسيم فلسطين لدولتين عربية ويهودية، تماشياً مع موقف الاتحاد السوفييتي، ما أثر على قاعدة الحزب الجماهيرية، وعزز الظن بوجود علاقة متينة بين اليهود الشيوعيين والصهيونية.
- وأخيراً، لا يمكن للباحث أن يقبل أو يرفض ما أدلى به بعض عناصر الحزب الشيوعي العراقي المعتقلين لشعبة مديرية التحقيقيات الجنائية، من وجود تعاون بين أعضاء الحزب من اليهود والصهيونية، ولكن لا يمكن في الوقت ذاته إنكار وجود عاطفية دينية تجمع بعض اليهود الشيوعيون مع الصهيونية وأهدافها.

المصادر والمراجع:

١- الكسندر، أري، (٢٠١٧)، "الفرهود، واقتصاديات الحرب، والشيوعيون، والصهاينة"، ضمن كتاب: من أرشيف العراق المنهوب، فصول من أبحاث ريادية عن يهود العراق، تحرير: مازن لطيف، مراجعة " سامي موريه، بغداد: دار ميزوبوتاميا، ط١.

٢- أمين، عبد الله، (١٩٦٣)، الشيوعية على السفود، بغداد: مطبعة شفيق، ط١.

٣- البراك، فاضل، (١٩٨٧)، تحالفات الاضداد، بغداد: طبع الدار العربية، ط٢.

٤- بطاطو، حنا، (١٩٩٦)، العراق، الكتاب الثاني الحزب الشيوعي، ترجمة: عفيف الرزّاز، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢.

٥- جابر، أحمد مصطفى، (أيلول ٢٠١٤)، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية والتطبيقية.

٦- حبيب، كاظم، (د.ت)، كراس بعنوان "عصبة مكافحة الصهيونية والموقف من قضية فلسطين والتقسيم، بمناسبة مرور ٧٠ عاماً على تأسيس عصبة مكافحة الصهيونية بالعراق، منشور على الموقع الالكتروني http://www.al-nnas.com.com

٧- حبيب، كاظم، (آذار/مارس ٢٠٢١)، كراس بعنوان "موقف الحزب الشيوعي من القضية الفلسطينية دور عصبة مكافحة الصهيونية في مكافحة النشاط الصهيوني بالعراق"، منشور على الموقع الالكتروني http://www.al-nnas.com.com

٨- الحسني، عبد الرزاق، (١٩٨٨)، تاريخ الوزارات العراقية، ج٧، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط٧.

٩- حميدي، عباس جعفر، (١٩٧٥)، التطورات السياسية في العراق ١٩٤١ – ١٩٥٣، النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ط١.

١٠- خليل، عادل غفوري، (١٩٨٤)، أحزاب المعارضة العلنية في العراق (١٩٤٦ – ١٩٥٤)، بغداد: المكتبة العالمية، ط١.

١١- الربيعي، نبيل عبد الأمير، (٢٠١٣)، اليهود في العراق، منذ السبي الآشوري والبابلي وإلى تهجيرهم القسري في منتصف القرن العشرين، لبنان: الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١.

١٢- السوداني، صادق حسن، (١٩٨٠)، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ – ١٩٥٢، بغداد: دار الرشيد للنشر.

١٣- السويدي، توفيق، (٢٠١١)، مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، بغداد: الذاكرة للنشر والتوزيع، ط١.

١٤- سيف، مالك، (١٩٨٣)، للتأريخ لسان، ذكريات وقضايا خاصة بالحزب الشيوعي العراقي منذ تأسيسه حتى اليوم، بغداد: دار الحرية للطباعة، ط١.

١٥- شبلاق، عباس، (٢٠١٥)، هجرة أو تهجير، ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١.

١٦- الشرطة العامة، شعبة مديرية التحقيقات الجنائية، (١٩٤٩)، موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي السري، ج٣، بغداد: مطبعة الحكومة.

١٧- شكوى يعقوب مصري ورفاقه على حاكم جزاء بغداد الأول السيد خليل أمين، (١٩٤٦/٩/١٦)، بغداد، نقلاً عن، حبيب، كاظم، (د.ت)، كراس بعنوان "عصبة مكافحة الصهيونية والموقف من قضية فلسطين والتقسيم، بمناسبة مرور ٧٠ عاماً على تأسيس عصبة مكافحة الصهيونية بالعراق، منشور على الموقع الالكتروني http://www.al-nnas.com .

١٨- عبد الكريم، سمير، (د.ت)، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، بيروت: دار المرصاد، ج١.

١٩- عبد الله، صالح حسن، (٢٠٠٣)، تهجير يهود العراق ١٩٤١ – ١٩٥٢، جامعة تكريت: رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية، قسم التاريخ.

٢٠- عبد الله، محمد صالح، (آب ١٩٧٤)، "موقع القضية الفلسطينية في الحياة السياسية العراقية ١٩٤٦ – ١٩٥٨، جامعة بغداد: مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، مج ٣، ع ٣.

٢١- العريضة التي رفعتها الهيئة المؤسّسة لعصبة مكافحة الصهيونية إلى معالي وزير الداخلية العراقي، (١٩٤٥/٩/١٢- بغداد)، ضمن، أيوب، سمير، (١٩٨٤)، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ج٣، مرحلة سطوة الوعي بالخطر، بيروت: دار الحداثة، ط١، نقلاً عن، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، http://www.palestine-studies.org/ar/resources/documents.

٢٢- العَكَام، عبد الأمير هادي، (١٩٨٦)، تاريخ حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٦ – ١٩٥٨، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢.

٢٣- العلي بيك، منهل اسماعيل، (٢٠٠٦)، أرشد العمري ١٨٨٨ – ١٩٧٨، دراسة تاريخية في دوره الاداري والسياسي والعسكري، جامعة الموصل: دار ابن الأثير، ط١.

٢٤- الغادري، نهاد، (١٩٦٩)، التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية، بيروت: منشورات دار الكاتب العربي، ط١.

٢٥- فرح، الياس، (تشرين الثاني ١٩٧٦)، "الاشتراكية في الوطن العربي"، بغداد: مجلة آفاق عربية، س٢، ع ٣.

٢٦- الكيالي، عبد الوهاب، (د،ت)، موسوعة السياسة، ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج٢.

٢٧- المسيري، عبد الوهاب محمد، (١٩٩٩)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٦ ، القاهرة: دار الشروق، ط١.

٢٨- موسى، مسلم هادي، (١٩٧٩)، نظرات في المسارات السياسية: الحزب الشيوعي العراقي؛١، بغداد: دار الحرية، ط١.

٢٩- نص قرار المحكمة بتجريم بعض أعضاء عصبة مكافحة الصهيونية في العراق، قرار محكمة جزاء بغداد في الدعوى المقامة على سكرتير عصبة مكافحة الصهيونية، (١٩٤٦/٩/١٥)، بغداد، نقلاً عن، شبلاق، عباس، (٢٠١٥)، هجرة أو تهجير، ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١.

٣٠- ياسين، عبد القادر، (تشرين الثاني ١٩٧٢)، "عصبة مكافحة الصهيونية في العراق"، بيروت: مجلة شؤون فلسطينية، ع١٥ .

٣١- يحيى، عبد الفتاح علي، (١٩٩٠)، الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦ ١٩٥٨، جامعة الموصل: رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب.